

ملخص بحث :

رؤية مسلم هندي للثورة العربية عام ١٩١٦

المنشور باللغة الانجليزية

الأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان نوار

تناولت دراسات كثيرة للغاية الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين في مكة في ١٩١٦ ، ولكن لم يعن المؤرخون والباحثون بصدى هذه الثورة في البلاد الاسلامية غير العربية ، أو التي تضم أعدادا كبيرة من المسلمين مثل الهند التي كانت واقعة حينذاك تحت الاستعمار البريطاني . ومن هنا تأتي أهمية هذه الرسالة التي كتبها مسلم هندي الى المسؤولين الانجليز معبرا عن آرائه وعن مشاعره نحو مستقبل الأراضى الاسلامية المقدسة في الحجاز في أعقاب اعلان الشريف حسين ثورته ، وفي خضم الصراع الدولي خلال الحرب العالمية الأولى .

ومع أن كاتب الرسالة لم يفصح عن اسمه الا أنه — من واقع ما ورد في رسالته — على مستوى عال من الاتصالات مع المسؤولين الانجليز ، سواء في حكومة الهند البريطانية ، أو في البرلمان الانجليزى نفسه . وأنه كان من مؤيدى حركة تركيا الفتاة ، ولكن دون أن يأخذ بمبادئها ذات الطابع العلماني ولكن أيضا دون أن يرى فيها حركة تركية قومية تسلطية لا تعطى للعرب حقوق المواطنة الكاملة في الدولة العثمانية .

وكان هذا الكاتب المسلم الهندي موضع ثقة الانجليز ، وكانوا يستمعون الى آرائه وتصوراته فيما يتعلق بالسياسة الانجليزية نحو الشئون الاسلامية .

ونظرا لأهمية هذه الرسالة ، وحاجة المسؤولين الانجليز الى كل وجهات النظر المتعلقة بتطورات الحرب العالمية الأولى فقد عنى المسؤولون الانجليز برفع هذه الرسالة الى أعلى المستويات حيث وجدت ضمن ما يعرف بملف « المذكرات »^(١) ولا توضع فى هذه المجموعة الا الوثائق التى تمثل أهمية بالغة بالنسبة للمصالح البريطانية •

وهذه الرسالة تركز على النقاط الرئيسية التالية :

١ — أن العالم الاسلامى يرفض أية سيطرة غير اسلامية على الأراضى الاسلامية المقدسة فى الحجاز •

٢ — ان المسلمين لم يرحبوا باعلان السلطان العثمانى الجهاد ، ونم يلبنوا نداءه ، وأن السبب فى ذلك يرجع الى أن بريطانيا أعلنت تجنبها الخوض فى أمور تتعلق بالخلافة ، أو بالأراضى الاسلامية المقدسة •

وان بريطانيا اذا ورطت فى مثل هذه الأمور ، وحاولت فرض نوع من الحماية على الحجاز ، فهذا يعنى مكسبا عظيما للاثرائك • اذ أن المسلمين سيهبون ضد بريطانيا ويلبنون نداء الجهاد ، وهذا ما كانت تسعى اليه سلطات الاستانة • أما اذا ظلت بريطانيا بعيدة عن التدخل فى شئون الحجاز فان المسلمين لن يتحركوا لدعم الدولة العثمانية •

٤ — ان الثورة العربية التى أعلنها الشريف حسين غير مقبولة لدى جمهرة المسلمين ، على اعتبار أنها ثورة ضد السلطان الشرعى خليفة المسلمين •

٥ — اذا دعمت بريطانيا وحلفاؤها ثورة الشريف حسين فانها بذلك تعمل على اشاعة الفوضى والفرقة بين المسلمين وستفقد مكانتها بينهم •

(1) B. Memoranda No. 235.

وواضح من كل هذا أن هذا المثقف المسلم الهندي كان يبذل قصارى جهده لانتقاذ الحجاز من أى تسلط أجنبى • وكان الموقف فعلا دقيقا ، ففى الحروب لا تراعى الدول المتقاتلة الا دواعى النصر وأسبابه ، وان الحكومة العثمانية — على نحو ما تكشفه هذه الوثيقة لا يهمها فى هذا الموضوع الا دفع الانجليز للتدخل فى شئون البلاد الاسلامية المقدسة حتى تثير الجماهير الاسلامية ضد بريطانيا وحلفائها •

وقد لقيت هذه الرسالة عناية المسؤولين فى دوائر السياسة البريطانية • ولو تتبعنا السياسة البريطانية ازاء الأراضي الحجازية — خلال الحرب العالمية الأولى — لوجدنا تطابقا كبيرا بين ما ورد فى هذه الرسالة وما اتبعته بريطانيا ازاء الحجاز خلال الحرب العالمية الأولى •

فقد تجنبت الحكومة البريطانية اثارة موضوع مستقبل الخلافة مع الشريف حسين عندما دارت المباحثات ، وتبادل الرسائل مع المعتمد البريطانى فى القاهرة هنرى مكماهون • وهذا ما طالبت به رسالة المثقف المسلم الهندي •

كذلك تجنبت الحكومة البريطانية التدخل العسكرى المباشر فى القتال الذى دار بين قوات الشريف حسين والاتراك ، وانما دعمت الشريف بالمال وبالاسلحة والذخائر والخبرة العسكرية ، دون أن تشارك القوات البريطانية مشاركة مباشرة فى تطورات القتال • بل هناك من الوثائق ما يشير الى أن بريطانيا حين عزمته على تقديم قوة عسكرية لدعم الشريف اتجهت الى ارسال بعض كتائب من الجيش المصرى ولكن لم تنفذ الفكرة • ومعنى هذا أن المسؤولين الانجليز تجنبوا المشاركة المباشرة فى القتال الدائر بين قوات الثورة العربية والقوات التركية حتى لا تثير بريطانيا مسألة امكانية قيام حكم أجنبى غير اسلامى فى الحجاز •

وقد تنبأت هذه الرسالة بأن المسلمين لن يدعموا الثورة العربية اذا نشبت على اعتبار أنها لا يمكن أن تقوم الا بتوجيه ودعم بريطانى ،

وان مثل هذا الدعم يهدد مستقبل الأراضى الحجازية المقدسة • والملاحظ أن غالبية الزعامات العربية فى الجزيرة العربية كانت غير مستقرة — الا ظاهريا — لدعم الثورة العربية فعبد العزيز بن سعود وأمير الكويت وحكام المشيخات العربية المظلة على الخليج وامام مسقط وامام اليمن لم يرحبوا بالثورة العربية الا ترحيبا مظهريا • ولم يرحب بها كذلك الشعب المصرى •

ان الثورة العربية التى استهدفت تخليص العرب من استبداد الأتراك لم تستطع أن تجد صيغة تلم شمل العرب تحت راية واحدة • ودعوة الجهاد الاسلامى التى أطلقها السلطان العثمانى فشلت فى تحريك مسلمى العالم ضد بريطانيا وحلفائها ، لأنها كانت فى نظر المسلمين مجرد دعوة سياسية لمواجهة متطلبات الحرب •

وراقبت بريطانيا عن كثب نمو قوة عبد العزيز بن سعود حتى أخضع حليفى بريطانيا فى عسير والحجاز : الادريسى فى عسير والملك حسين فى الحجاز • ووقف المسلمون فيما وراء الجزيرة العربية يراقبون بنوع من الدهشة ذلك التمزق الخطير الذى كان يلف العالم العربى :

— العراب الواقعون تحت الاستعمار أصبحوا يسعون الى تحرير أنفسهم أولا وقبل أى شئ آخر ، فخفت الجهود العربية من أجل اقامة وحدة عربية وحلت محلها جهود اقليمية وقطرية للتحرر من الاستعمار الأوروبى •

— الحكومات المستقلة فى الجزيرة العربية : الملك حسين ، السلطان عبد العزيز ، الامام يحيى فى اليمن ، كانوا فى حالة صراع متواصل تقريبا حتى صفى عبد العزيز بن سعود الموقف لصالحه فى الجزيرة العربية •

فلا غرو أن مرت فترة ما بين الحربين العالميتين ودعوات الوحدة العربية لا تجد أذانا مصغية حتى الحرب العالمية الثانية •